البـــابُ الثـــانى

الروح . . والنفس . . والعقل

هل الروح والنفس شىء واحد أو شيئان ؟

اختلف الناس فى ذلك .

– فمن قائل : إن مسمّاهما واحد . . وهو الجمهور .

– ومن قائل : إنهما متغايران .

ونحن[1] نكشف سر المسألة بعون الله وحوله وقوته :

– فنقول : النفس تطلق على أمور :

أحدها : الروح

قال الجوهرى : النفس . . الروح . . يقال خرجت نفسه والنفس . . الدم . . يقال سالت نفسه

---

(١) ابن قيم الجورية .

الروح غير النفس

وفى الحديث :

الأول : « مالانفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه » .

الثانى : والنفس الجسد . . قال الشاعر :

نبئت أن أبا تميم أدخلوا أبناءهم تامور[٢] نفس المنذر

الثالث : والنفس العين . . أصابت فلاناً أى عين . .

قلت[٣] : ليس كما قال بل النفس هاهنا الروح ونسبة الإضافة إلى العين توسع ، لأنها تكون بواسطة النظر المصيب ، والذى أصابه إنما هو نفس العائن كما تقدم .

الرابع : قلت : والنفس فى القرآن تطلق على الذات بجملتها كقوله تعالى : (فسلموا على أنفسكم) وقوله تعالى : (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها) وقوله تعالى : (كل نفس بما كسبت رهينة) وتطلق على الروح وحدها كقوله تعالى : (يأيتها النفس المطمئنة . ارجعى إلى ربك راضية مرضية .) وقوله تعالى (ونهى النفس عن الهوى) وقوله تعالى : (إن النفس لأمارة بالسوء) .

وأما الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس وتطلق الروح على القرآن الذى أوحاه الله تعالى إلى رسوله . قال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) .

---

(٢) التامور : الدم .

(٣) ابن القيم .

وعلى الوحى الذى يوحيه إلى أنبيائه ورسله . قال تعالى : (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون .) وسمى ذلك روحاً لما يحصل به من الحياة النافعة فإن الحياة بدونه لاتنفع صاحبها البتة ، بل حياة الحيوان البهيم خير منها وأسلم عاقبة .

وسميت الروح روحاً لأن بها حياة البدن وكذلك سميت الريح لما يحصل بها من الحياة ، وهى من ذوات الواو ، ولهذا تجمع على أرواح قال الشاعر :

إذا ذهبت الأرواح من نحو أرضكم وجدت لمسراها على كبدى بردا

ومنها الروح والريحان والاستراحة . فسميت النفس روحاً لحصول الحياة بها . .

الخامس : وسميت نفساً : إما من الشىء النفيس لنفاستها وشرفها ، وإما من تنفس الشىء إذا خرج . . فلكثرة خروجها ودخولها فى البدن سميت نفساً ، ومنه النفس بالتحريك ، فإن العبد كلما نام خرجت منه ، فإذا استيقظ رجعت إليه ، فإذا مات خرجت خروجاً كليًّا ، فإذا دفن عادت إليه فإذا سئل خرجت ، فإذا بعث رجعت إليه .

فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لافرق بالذات ، وإنما سمى الدم نفساً لأن خروجه الذى يكون معه الموت يلازم خروج النفس ، وأن الحياة لاتتم إلا به كما لاتتم إلا بالنفس فلهذا قال :

تسيل على حد الظباة نفوسنا وليست على غير الظباة تسيل

ويقال فاضت نفسه وخرجت نفسه وفارقت نفسه ، كما يقال خرجت روحه وفارقت . . ولكن الفيض : الاندفاع وهلة واحدة . ومنه الإفاضة وهى

الاندفاع بكثرة وسرعة . . ولكن أفاض إذا دفع باختياره وإرادته ، وفاض إذا اندفع قسراً وقهراً ، فالله سبحانه هو الذى يفيضها عند الموت فتفيض هى .

ولكن فرقة أخرى من أهل الحديث والفقه والتصوف قالت : إن الروح غير النفس [٤] .

ومما يتصل بمعنى الروح وحقيقته أن تعرف هل هى النفس أو غيرها ، وقد كثرت فى ذلك الأقوال واضطربت المذاهب فتعلق قوم بظواهر من الأحاديث لاتوجب القطع لأنها نقل آحاد ، وأيضاً فإن ألفاظها محتملة للتأويل ومجازات العرف واتساعاتها فى الكلام كثيرة ، فما تعلقوا به فى أن الروح هى النفس قول بلال أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك مع قول النبى ﷺ وأن الله قبض أرواحنا ، وقوله عز وجل : (الله يتوفى الأنفس) والمقبوضة هى الأرواح ، ولم يفرقوا بين القبض والتوفى ، ولابين الأخذ فى قول بلال أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك وبين قول النبى ﷺ قبض أرواحنا وتنقيح الأقوال وترجيحها يطول ، وقد روى أبو عمر فى التمهيد حديثاً يدل على خلاف مذهبه فى النفس هى الروح ، لكن علله فيه أنه خلق آدم وجعل فيه نفساً وروحاً فمن الروح عفافه وفهمه وحلمه وسخاؤه ووفاؤه ، ومن النفس شهوته وطيشه وسفهه وغضبه ونحو هذا ، وهذا الحديث معناه صحيح إذا تُؤمّل صح نقله أو لم يصح ، وسبيلك أن تنظر فى كتاب الله أولى لا إلى الأحاديث التى تنقل مرة على اللفظ ومرة على المعنى وتختلف فيها ألفاظ المحدثين ، فنقول قال الله تعالى : (فإذا سويته ونفخت فيه من روحى) ولم يقل من نفسى ، وكذلك قال : (ثم سواه ونفخ فيه من روحه) ولم يقل من نفسه ، ولايجوز أيضاً أن يقال هذا ولاخفاء فيما بينهما من

---

(٤) الروض الأنف شرح السيرة النبوية لابن هشام . حـ ١ . فصل ومما يتصل بمعنى الروح

الفرق فى الكلام ، وذلك يدل على أن بينهما فرقاً فى المعنى ويعكس قوله تعالى : (تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك) ولم يقل تعلم مافى روحى ولا أعلم مافى روحك ، ولايحسن هذا القول أيضاً أن يقوله غير عيسى ولو كانت النفس والروح اسمين لمعنى واحد كالليث والأسد لصح وقوع كل واحد منهما مكان صاحبه ، وكذلك قوله تعالى : (يقولون فى أنفسهم) ولايحسن فى الكلام يقولون فى أرواحهم ، وقال تعالى : (أن تقول نفس) ولم يقل أن تقول روح ولايقوله أعرابى فأين إذاً كون النفس والروح بمعنى واحد لولا الغفلة عن تدبر كلام الله تعالى ، ولكن بقيت دقيقة يعرف منها السر والحقيقة ولايكون بين القولين اختلاف متباين إن شاء الله فنقول وبالله التوفيق : الروح مشتق من الريح ، وهو جسم هوائى لطيف به تكون حياة الجسد عادة ، أجراها الله تعالى لأن العقل يوجب ألا يكون للجسم حياة حتى ينفخ فيه ذلك الروح الذى هو فى تجاويف الجسد ، كما قال ابن فورك وأبو المعالى وأبو بكر المرادى وسبقهم إلى نحو منه أبو الحسن الأشعرى ، ومعنى كلامهم واحد أو متقارب .

وقد يعبر بالنفس عن جملة الإنسان روحه وجسده فنقول عندى ثلاثة أنفس ، ولانقول عندى ثلاثة أرواح . لايعبر بالروح إلا عن المعنى المتقدم ذكره ، وإنما اتسع فى النفس وعبر بها عن الجملة لغلبة أوصاف الجسد على الروح حتى صار يسمى نفساً ، وطرأ هذا الاسم بسبب الجسد كما يطرأ على الماء فى الشجر أسماء على حسب اختلاف أنواع الشجر من حلو وحامض ومر وحرّيف وغير ذلك ، فنحصل من مضمون ماذكرنا ألا يقال فى النفس هى الروح على الإطلاق ، حتى تقيد بما تقدم ولايقال فى الروح هو النفس إلا كما يقال فى المنى هو الإنسان ، أو كما يقال للماء المغذى للكرمة هو الخمر والخل ، على معنى أنه ستضاف إليه أوصاف يسمى بها خمراً أو خَلاًّ فتقيد الألفاظ هو معنىَ الكلام

وتنزيل كل لفظ فى موضعه هو معنى البلاغة فافهمه هداك الله .

قال مقاتل بن سليمان : للإنسان حياة وروح ونفس ، فإذا نام خرجت نفسه التى يعقل بها الأشياء ولم تفارق الجسد ، بل تخرج كحبل ممتد له شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التى خرجت منه وتبقى الحياة والروح فى الجسد فبه يتقلب ويتنفس ، فإذا حرك رجعت إليه أسرع من طرفة عين ، فإذا أراد الله عز وجل أن يميته فى المنام أمسك تلك النفس التى خرجت . وقال أيضاً : إذا خرجت نفسه فصعدت إلى فوق فإذا رأت الرؤيا رجعت فأخبرت الروح ويخبر الروح فيصبح يعلم أنه قد رأى كيت وكيت .

قال أبو عبد الله بن منده : ثم اختلفوا فى معرفة الروح والنفس .

فقال بعضهم :

– النفس طينية والروح نورية روحانية .

– الروح لاهوتية والنفس ناسوتية وأن الخلق بها ابتلى .

– وقالت طائفة (وهم أهل الأثر) : الروح غير النفس . . والنفس غير الروح . . وقوام النفس بالروح والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها . . ولا عدو أعْدى لابن آدم من نفسه فالنفس لاتريد إلا الدنيا ولاتحب إلا إياها . . والروح تدعو إلى الآخرة وتؤثرها وجعل الهوى تبعاً للنفس والشيطان تبع النفس والهوى . . والملك مع العقل والروح . .

والله تعالى يمدهما بإلهامه وتوفيقه .

– وقال بعضهم : الأرواح من أمر الله أخفى حقيقتها وعلمها على الخلق .

– وقال بعضهم : الأرواح نور من نور الله وحياة من حياة الله .

* * *

النفس ماهى ؟

يقول الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى فى تحقيق مخطوط « أحوال النفس للشيخ الرئيس ابن سينا » : لايخلو فيلسوف من كلام فى النفس الإنسانية . . لأنها أقرب الأشياء إلينا . . وهى إلى ذلك القرب شديدة الغموض . وكلما خيل إلى المفكرين أنهم قد ازدادوا بها علماً وبلغوا حقيقة أمرها وكشفوا سرها وعرفوا جوهرها . . إذا بهم يجدون ذلك العلم سراباً والجوهر مظهراً خلاباً ولانزال إلى اليوم حيث كان سقراط وأفلاطون وأرسطو . . بل أشد عن الحقيقة بعداً ، ولذلك ضرب العلم الحديث صفحاً عن طلبها واكتفى بتحليل الظواهر النفسية وترك للفلاسفة ميدان الجوهر يسلكون إليه السبيل عسى أن يصلوا يوماً ماإلى معرفة حقيقة النفس .

وقد طلب ابن سينا معرفة النفس منذ صدر شبابه « لأن من عرف نفسه فقد عرف ربه » كما حدثنا فى رسالة القوى[٥] النفسية التى ألفها للأمير نوح بن منصور فكانت أول مؤلفاته .

وإذا كان الشيخ الرئيس ابن سينا قد استهل حياته برسالة فى النفس فقد اختتمتها أيضاً بعد أربعين سنة من تأليف ذلك الكتاب برسالة صغيرة فى النفس الانسانية . .

والدليل على أهمية كتاب النفس السينوى وعلى أثره العظيم فى العصر الوسيط

---

(٥) هدية الرئيس للأمير – مطبعة المعارف ص ١٦ . سنة ١٣٢٥ هـ .

أنه نقل إلى اللاتينية فانتشر بين فلاسفة أوربا انتشاراً كبيراً ، تشهد بذلك المخطوطات الباقية منه فى مكتبات أوربا حتى الآن وتبلغ عدتها خمسة وأربعين ، وخضع الفكر الأوربى لأثره منذ القرن الثانى عشر حتى القرن السابع عشر حين ظهر ديكارت وأخذ عن ابن سينا برهانه فى إثبات وجود النفس .

أما أثر علم النفس السينوى فى الفلاسفة الإسلاميين فلايحتاج إلى دليل ، فقد أقر له المتأخرون بالرئاسة وسموه الشيخ الرئيس واحتذوا مثاله فى معظم أبواب علم النفس ، ولابن سينا كتاب (الشفاء) وهو الذى اختصره فى كتاب (النجاة) وضمنه جملة آرائه ؟ ثم ربط ونسق الأجزاء المتفرقة عن النفس فيه فى هذا الكتاب الذى عرضناه له وهو (أحوال النفس)

ونعود بعد هذه المقدمة التى استوقفتنا قليلاً . . إلى تعريف **النفس ماهى ؟**

يأخذ ابن سينا تعريف أرسطو للنفس كما هو . . وهو تعريف مشهور يقول فيه : (النفس كمال أول لجسم طبيعى آلى ذى حياة بالقوة) : غير أن ابن سينا يسلك إلى هذا التعريف مسلكاً جديداً فهو ينظر إلى الأجسام الطبيعية ويقسمها من جهة القوى الفعالة فيها إلى قسمين :

– قوى تعمل فى الأجسام بالتسخير .

– وأخرى تفعل بالقصد والاختيار .

فالطبيعة والنفس النباتية اسم للقوى الفاعلة على سبيل التسخير[٦] .

والنفس الحيوانية والإنسانية اسم للقوى الفاعلة على سبيل القصد والاختيار .

وقد يقال عن النفس إنها قوة أو صورة أو كمال .. فهى قوة بالنسبة

---

(٦) أحوال النفس (رسالته فى النفس وبقائها ومعادها) ابن سينا – تحقيق د / أحمد فؤاد الأهوانى ص ٢٦ .

لفعلها .. وصورة بالقياس إلى المادة إن كانت ممتزجة بالمادة .. وكمال بالقياس إلى النوع الحيوانى والإنسانى . . « والكمال الأول عند ابن سينا يقصد به غير مايقصد أرسطو » .

وابن سينا يميز بين العقل والنفس . . فالنفس تقال عند وجودها فعالة فى جسم من الأجسام ، أما إذا فارقت فالأشبه أن تسمى العقل . . ومهما يكن من شىء فإن الصلة بين النفس والعقل صلة دقيقة غامضة . . وقد نجد اضطرابا عند ابن سينا نفسه حين يجعل العقل قوة من قوى النفس وحين يحدثنا فى مكان آخر أن العقل فاض عن الأول . . ثم فاضت عنه النفس . . فكأنه يذهب مذهب أفلاطون حين يقدم العقل على النفس .

ولكن الأرجح فى مذهب ابن سينا هو أن العقل قوة من قوى النفس ، وأن النفس عند مفارقتها البدن قد تسمى نفساً ، ولكن الأصح أن يقال عنها العقل .

والقوى النفسانية هى القوى ذاتها التى ذهب إليها أرسطو من قبل وهى ثلاث : (النباتية – الحيوانية – الإنسانية) .

ووظائف النباتية : التغذى والنمو والتوليد (على تفصيل)[٧] .

ووظائف الحيوانية : إدراك الجزئيات والتحرك بالإرادة (على تفصيل)

ووظائف الإنسانية : تدرك الكليات وتفعل الأفاعيل بالاختيار الفكرى والاستنباط بالرأى .

ويستطرد ابن سينا فى تفصيلات ذلك ويطنب فى وصف القوى المدركة ويقف طويلا عند القوى الباطنة ، ثم يقسم النفس الناطقة إلى قسمين (عالمة وعاملة) ولسنا نريد تتبعه فى كل هذه التفصيلات ، ولكن يهمنا هنا أن نذكر ماجاء فى (رسالته فى معرفة النفس الناطقة وأحوالها) التى نشرها الدكتور/ محمد

---

(٧) رسالة فى النفس الناطقة – ابن سينا – نشرها ثابت الفندى .

ثابت الفندى بمطبعة الاعتماد الطبعة الثانية والتى ذكر فيها أنه رجع إلى ثلاثة نسخ خطية اثنتان منها عن مكتبة طلعت والثالثة عن برلين . . وهو حين يتكلم فيها . . فى إثبات أن جوهر النفس مغاير لجوهر البدن يقول : (المراد بالنفس مايشير إليه كل أحد فينا بقوله (أنا) وقد اختلف أهل العلم فى أن المشار إليه بهذا اللفظ هو البدن المشاهد المحسوس أو غيره . . أما الأول فقد ظن أكثر الناس وكثير من المتكلمين أن الإنسان هو هذا البدن ، وكل أحد إنما يشير إلى نفسه بقوله (أنا) فهذا ظن فاسد فى رأى ابن سينا ، والقائلون بأنه غير هذا البدن ، المحسوس اختلفوا : فمنهم من قال إنه غير جسم ولاجسمانى بل هو جوهر روحانى فاض على هذا القالب وأحياه ، واتخذه آلة فى اكتساب المعارف والعلوم حتى يستكمل جوهره بها ، ويصير عارفاً بربّه عالماً بحقائق معلوماته فيستعدّ بذلك للرجوع إلى حضرته ويصير ملكاً من ملائكته فى سعادة لانهاية لها — وهذا هو مذهب الحكماء الإلهيين والعلماء الربانيين — ووافقهم فى ذلك جماعة من أرباب الرياضة وأصحاب المكاشفة فإنهم شاهدوا جواهر أنفسهم عند انسلاخهم عن أبدانهم واتصالهم بالأنوار الإلهية ويسوق ابن سينا البراهين من حيث البحث والنظر للتدليل على صحة هذا المذهب .

وفى رسالة ابن سينا فى الكلام على النفس الناطقة يقول (٨)

« الحمد لله . . اعلم أن الإنسان مختص بين الحيوانات بقوة دَرَّاكةٍ للمعقولات تسمى تارة نفساً ، وتارة نفساً مطمئنة ، وتارة نفساً قدسية وتارة روحاً روحانية ، وتارة روحاً أمريًّا ، وتارة كلمة طيبة ، وتارة كلمة جامعة فاصلة ، وتارة سرًّا إلهيًّا ، وتارة نوراً مدبرا ، وتارة قلبا حقيقيًّا ، وتارة لبا ، وتارة نهىً ، وتارة حِجًا ، وهو موجود لكل واحد من الناس . . » .

ثم يقول : وهذه النفس الناطقة جوهر قائم بذاته . . غير منطبع فى بدن الإنسان ولا فى غيره من الأجسام ، بل هو مفارق للمواد والأجسام مجرّد عنها وله علاقة مابدن الإنسان مادام حيًّا ، وليست تلك العلاقة كتعلق الشىء بمحله . . بل كتعلق مستعمل الآلة بالآلة . . وهو حادث مع البدن لاقبله ، وليس يفسد بفساد البدن وموته ، بل يبقى كما كان إلا أنه (تحصل له حالة تسمى عندما) تنقطع علاقته عن البدن – أى بعد انقطاع العلاقة بالموت .. سعادة ولذة أوشقاءً وألما ..

العقل

إن أول ما خلق الله تعالى جوهر روحانى هو نور محض قائم لافى جسم ولافى مادة ، درّاك لذاته ولخالقه تعالى ، هو عقلٌ محض ، وقد اتفق على صحة هذا

---

(٨) هذه الرسالة عن النسخة الوحيدة الموجودة بمكتبة ليدن رقم ١٤٦٨ وقد صورها المعهد الفرنسى بالقاهرة – عن كتاب رسالة النفس لابن سينا – د/ أحمد فؤاد الأهوانى .

جميع الحكماء الإلهيين والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه كما قال ﷺ : (أول ماخلق الله تعالى العقل ، ثم قال له : « أقبل فأقبل ثم قال له : أدبر فأدبر » ثم قال : « فبعزتى وجلالى ماخلقت خلقاً أعزّ منك فبك أعطى . . وبك آخذ . . وبك أثيب . . وبك أعاقب ») .

فنقول هذا العقل له ثلاث تعقلات :

أحدها : أنه يعقل خالقه تعالى .

الثانى : أنه يعقل ذاتا واجبة بالأول تعالى (الله سبحانه وتعالى) .

الثالث : أنه يعقل كونه ممكناً لذاته .

– فحصل من تعقله خالقه عقل هو أيضاً جوهر عقل آخر كحصول السراج من سراج آخر .

– وحصل من تعقله ذاته واجبة بالأول **نفس** هى أيضاً جوهر روحانى كالعقل ، إلا أنه فى الترتيب دونه .

– وحصل من تعقله ذاته ممكنة لذاته جوهر **جسمانى** هو الفلك الأقصى وهو العرش بلسان الشرع فتعلقت تلك النفس بذلك الجسم . فتلك النفس هى النفس الكلية المحركة للفلك الأقصى (العرش) كما تحرك نفسنا جسمنا .

النفس عند ابن قيّم الجوزية[٩] . . وغيره

اما ابن القيم فحين يعرض لتعريف النفس فإنه يقول :

ماحقيقة النفس ؟ هل هى جزء من أجزاء البدن أو عرض من أعراضه أو

---

(٩) اشتهر (بابن القيم) بين الكتاب وهذه نُقولٌ عن كتابه (الروح) .

جسم سابق له مودع فيه أو جوهر مجرد ؟ وهل هى الروح أو غيرها ؟ وهل اللوامة والأمارة والمطمئنة نفس واحدة لها هذه الصفات أو هى ثلاث أنفس ؟

والجواب : أن هذه المسائل قد تكلم الناس فيها من سائر الطوائف واضطربت فيها أقوالهم وكثر خطؤهم ثم هدى الله أتباع الرسول وأهل سنته لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

يقول أبو الحسن الأشعرى فى مقالاته : قال النظام : الروح هى جسم وهى النفس ، وزعم أن الروح حى بنفسه ، وأنكر أن تكون الحياة والقوة معنى غير الحى القوى . . **وقال آخرون** : الروح عرض .

وقال جعفر بن حرب : (لاندرى الروح جوهر أو عرض) . . (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) .

وذهب اليالى : إلى أن الروح جسم وأنها غير الحياة والحياة عرض . .

وقال قائلون : ليس الروح شيئاً أكثر من اعتدال الطبائع الأربع (الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة)

– الروح معنى خامس غير الطبائع الأربع .

– الروح الدم الصافى الخالص من الكدر والعفونات ، وكذلك قالوا فى القوة .

– الحياة هى الحرارة الغريزية . . وكل هؤلاء الذين ذكرنا أقوالهم من أصحاب الطبائع يثبتون أن الحياة هى الروح .

وكان الأصم : لايثبت للحياة والروح شيئاً غير الجسد ، ويقول ليس أعقل إلا الجسد الطويل العريض الذى أشاهده . . وكان يقول : النفس هى هذا البدن بعينه لاغيره . .

وذكر عن أرسطاليس : إن النفس معنى مرتفع عن الوقوع تحت (التدبير ، والنشوء ، والبلى » وأنها جوهر بسيط منبث فى العالم كله من الحيوان على جهة الإعمال له والتدبير ، وأنه لاتجوز له صفة قلة ولا كثرة قال وهى على ماوصفت من انبساطها فى هذا العالم غير منقسمة الذات والبنية وأنها فى كل حيوان العالم بمعنى واحد لاغير .

وقال آخرون : بل النفس معنى موجود ذات حدود وأركان وطول وعرض وعمق ، وأنها غير مفارقة فى هذا العالم لغيرها مما يجرى عليه حكم الطول والعرض والعمق ، وكل واحد منهما يجمعهما صفة الحد والنهاية .

وقالت طائفة : إن النفس موصوفة بما وصفها هؤلاء الذين قدمنا ذكرهم ، إلا أنها غير مفارقة لغيرها مما لا يجوز أن يكون موصوفاً بصفة الحيوان .

وحكى الحريرى : عن جعفر بن مبشر أن النفس جوهر ليس هو هذا الجسم وليس بجسم ، لكنه معنى باين الجوهر والجسم .

وقال آخرون : النفس معنى غير الروح والروح غير الحياة ، والحياة عند أبى الهذيل عرض وزعم أنه قد يجوز أن يكون الإنسان فى حالة نومه مسلوب النفس والروح دون الحياة ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : (الله يتوفّى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) .

وقال جعفر بن حرب : النفس عرض من الأعراض يوجد فى هذا الجسم وهو أحد الآلات التى يستعين بها الإنسان على الفعل كالصحة والسلامة . . (هذا ماحكاه الأشعرى فى مقالته)[١٠] .

وقال (الباقلانى) : النفس هى النسيم الداخل والخارج بالتنفس والروح عرض وهو الحياة فقط وهو غير النفس .

---

(١٠) سبق عرض رأى جعفر بن حرب (لاندرى الروح جوهر أو عرض .)

وقال **ابن سينا وغيره** : ليست النفس جسماً ولاعرضاً وليست فى مكان ولالها طول ولاعرض ولاعمق ولا لون ولابعض ولاهى فى العالم ولاخارجه ولامجانبة له ولامباينة (قول المشائين وحكاه الأشعرى عن أرسطاليس) وزعموا أن تعلقها بالبدن لا بالحلول فيه ولا بالمجاورة ولا بالمساكنة ولا بالالتصاق ولا بالمقابلة وإنما هو بالتدبير له فقط . . **وفى رأى ابن القيم** أن هذا أردى المذاهب وأبطلها وأبعدها من الصواب . . **ويختتم ابن القيم برأى يقول :**

« **النفس** : جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جسم نورانى علوى خفيف حىّ متحرك ينفذ فى جوهر الأعضاء ، ويسرى فيها سريان الماء فى الورد وسريان الدهن فى الزيتون والنار فى الفحم ، فمادامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقى ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء وأفاد هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية . أما إذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح » .

وهذا هو الصواب وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة .

النفس عند عباس محمود العقاد

وقبل أن نترك هذا الموضوع إلى سواه نرى من الأهمية بمكان أن نعرض لمبحث عن النفس عرضه الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه (الإنسان فى القرآن) يقول العقاد : تكلم حكماء اليونان عن العقل والروح والنفس بمعانيها التى تنسب إلى الكون وتكلموا عن العقل والروح والنفس التى تنسب إلى

الإنسان . . ورتبوها على حسب صفائها وعلو جوهرها فكان العقل عندهم أولها وأشرفها ، لأن جوهر العقل المطلق هو الله جل شأنه ، والعقل الإلهى هو العقل الفعال Poietikos المنزه عن المادة والهيولى ، وعنه يصدر العقل الإنسانى أو العقل المنفعل Pothetikos

ثم تأتى الروح والنفس بعد ذلك فى الصفاء والشرف . . فعندهم أن الروح أقرب إلى عنصر النور وأن النفس أقرب إلى عنصر الهواء والتراب . . ويقول أتباع أفلوطين إن العقل الإلهى فيض منعم ، صدر عنه النفس ، ومنه صدر مادونها من الموجودات على ترتيب شرفها وصفائها . . وهم يذكرون النفس بصيغة المذكر ويتابعهم فى ذلك من كتبوا بالعربية وتابعوهم فى مذاهبهم الصوفية ، والروح أرفع من النفس فى درجات الوجود ودرجات الحياة عند أكثر حكماء اليونان .

فمنهم من ينسب النفس إلى الكائنات العضوية جميعاً ، ومنها كل نبات ينمو ويلد ويوصف ببعض صفات الأحياء . . فمعنى النفس عندهم على هذه الصفة مرادف لمعنى (الحركة الحيوية) أو معنى القوة التى تجعل أعضاء الجسم الحى مخالفة للأجسام المادية فى قابلية النمو والتوليد . . ونصيبها من الإرادة أكبر من نصيب الجماد وأصغر من نصيب الروح فإنها لاتملك الانتقال من المكان الذى هى فيه .

فالعقل والروح والنفس قوى حية على هذا الترتيب من الشرف والصفاء . . والإنسان له نصيبه من العقل ولكنه دون العقل الفعال فى جوهره وتنزهه عن المادة والهيولى . . وله روح يعلو به على سائر الموجودات . . ونفس قد يقترب بها من الكائنات التى تنمو وتلد وتزيد على درجات . . إن هذا الاختلاف بين هذه القوى فى مصطلح الحكمة اليونانية وفى لغة الكتاب المبين يقاس من ناحية إلى

كثافة المادة ويقاس من ناحية إلى المثل الأعلى وهو الله .

وقد يقاس الكمال فى مصطلح الحكمة اليونانية إلى الجوهر بمقدار ارتفاعه وإلى المادة أو الهيولى بمقدار هبوطه .

ولكن كمال هذه القوى فى لغة القرآن مقيس إلى كمال الله جل شأنه فأرفعها وأشرفها ماكان أقربها إلى الصفات الإلهية ، وأدناها وأخسها ماكان أبعدها من تلك الصفات .

ومن المقابلة بين هذه القوى كما ذكرت فى الكتاب المبين ، فقد تبين أن الروح هو أقربها إلى الحياة الباقية وأخفاها عن المدارك الحسية ، وأنه الجانب الذى استأثر الله بعلمه واحتجب عن أنبيائه لأنه سر الوجود المطلق . . لاقدرة للعقل الإنسانى المحدود على الإحاطة به ووعيه إلا بما يناسبه من الإشارة والتقريب . . (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ومأأوتيتم من العلم إلا قليلا) .

أما العقل والنفس فى بيان القرآن الكريم فالراجح أن النفس أقربها إلى الطبع أو القوة الحيوية التى تشمل الإرادة ، كما تشمل الغريزة وتعمل واعية كما تعمل غير واعية ، وتأتى فى مواضعها من الآيات الكثيرة مرادفة للقوة التى يدركها النوم ، والقوة التى يزهقها القتل والقوة التى تحس النعمة والعذاب وتلهم الفجور والتقوى وتحاسب على ماتعمل من حسنة وسيئة . . فهى القوة التى تعمل وتريد . . مهتدية بالعقل أو منقادة لنوازع الطبع والهوى وتوضع لها الموازين بالقسط يوم القيامة . . (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها) .

وإذا ذكر قتل النفس (فى القرآن) فإنما هو قتل الإنسان أو الناس على حسب الخطاب إلى الفرد أو الجماعة . . (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى

الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً) .

ولكن الإنسان أعم من النفس إذ هو مسئول أن ينهاها :

(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هى المأوى) . فجملة هذه القوى من النفس والعقل والروح هى (الذات الإنسانية) تدل كل قوة منها على الذات الإنسانية فى حالة من حالاتها ، ولاتتعدد (الذات الإنسانية) بأية صورة من صور التعدد ، لأنها ذات نفس أو ذات روح أو ذات عقل ، فإنما هى إنسان واحد فى جميع هذه الحالات . . وهى تعبيرات عنها فى جميع اللغات تقضى بها ضرورة الكلام عن كل قوة خفية تدرك أعمالها ولاتدرك مصادرها . . وعلى هذا النحو تكلم الناس عن ملكات العقل والنفس والروح ، وعما ينسب إليها من وعى باطن ووعى ظاهر ومن ضمير ووجدان وخيال وحافظة وبديهة وروية إلى غير هذه الأسماء التى تتعدد للتمييز بين الأعمال وإن لم تتعدد فى مصدرها المعلوم أو المجهول .

وقد ذكرت النفس فى القرآن بجميع قواها التى يدرسها اليوم العلماء المتخصصون لهذه الدراسات فى موضوعاتها الحديثة .

– فقوة الدوافع الغريزية تقابل النفس (الأمارة بالسوء) (وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء) .

– وقوة النفس الواعية تقابل النفس الملهمة (ونفس وماسواها. فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها) .

– وقوة الضمير تقابل النفس اللوامة وهى النفس التى يقع منها الحساب كما يقع عليها وجاء ذكرها من أجل ذلك مقروناً بيوم القيامة (لاأقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة) . . ثم ذكرت موصوفة بالإبصار والعلم بمواقع الأعذار (بل الإنسان على نفسه بصيرة. ولو ألقى معاذيره) .

– وقوة الإيمان والثقة بالغيب تقابل النفس المطمئنة (يأيتها النفس المطمئنة. ارجعى إلى ربك راضية مرضية).

وفى كل موضع من هذه المواضع تذكر النفس الإنسانية بعامة هذه القوى . . فتجمعها خاصة واحدة هى خاصة الإنسان فى القرآن وهى خاصة الكائن المكلف المسئول . . (كل نفس بما كسبت رهينة). (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلاتظلم نفس شيئاً) (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً) . (علمت نفس ما قدمت وأخرت) (وإذا النفوس زوجت) (علمت نفس ما أحضرت) .

فحساب النفس من حساب الإنسان ، ولكن الذات الإنسانية أعم من النفس ، ومن العقل ومن الروح حين تذكر كل منها على حدة . . فإن الإنسان يحاسب نفسه لينهاها عن هواها . . ولكن الروح من أمر الخالق الذى لايعلم الإنسان.عنه إلا ماعلمه الله ويتوسط العقل بين القوتين فهو وازع الغريزة فى الجسد ومستلهم الهداية فى الروح .

ولعلنا نفقه من هدى القرآن ترتيب هذه القوى فى الذات الإنسانية ، وعمل كل منها فى القيام بالتكليف وتمييز الإنسان بمنزلة الكائن المسئول .

فالإنسان يعلو على نفسه بعقله ويعلو على عقله بروحه فيتصل من جانب النفس بقوى الغرائز الحيوانية ودوافع الحياة الجسدية ، ويتصل من جانب الروح بعالم البقاء وسر الوجود الدائم وعلمه عند الله . . وحق العقل أن يدرك ماوسعه من جانبه المحدود ، ولكنه لايدرك الحقيقة كلها من جانبها المطلق إلا بإيمان وإلهام .

هل النفس واحدة . . أو ثلاث أو أكثر؟[11]

وقع فى كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاث أنفس . . نفس مطمئنة ، ونفس لوامة ، ونفس أمارة . وأن منهم من تغلب عليه هذه ، ومنهم من تغلب عليه الأخرى ، ويحتجون على ذلك بقوله تعالى :

– (يأيتها النفس المطمئنة) .

(لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة) .

– (إن النفس لأمارة بالسوء) .

(ا) النفس المطمئنة

وهى مطمئنة بذكر الله (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وحقيقة الطمأنينة التى تصير بها النفس مطمئنة أن تطمئن فى باب معرفة أسمائه وصفاته ونعوت كماله إلى خبره الذى أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله ، فإذا عرف اطمأنت نفسه بالإيمان حتى لو خالفه جميع أهل الأرض . . ثم لايزال يقوى كلما سمع بآية متضمنة لصفة من صفات ربه وهذا أمر لانهاية له . فهذه الطمأنينة أصل أصول الإيمان . . ثم يطمئن إلى خبره عما بعد الموت من أمور البرزخ ومابعدها من أحوال القيامة حتى كأنه يشاهد ذلك كله عياناً . وهذا حقيقة اليقين الذى وصف به سبحانه وتعالى أهل الإيمان فقال : (وبالآخرة هم يوقنون) .

---

(١١) التحقيق أنها نفس واحدة ولكن لها صفات . فتسمى باعتبار كل صفة باسم

والطمأنينة إلى صفات الله وأسمائه نوعان :

– طمأنينة إلى الإيمان بها (أسماء الله وصفاته) وإثباتها واعتقادها .

– وطمأنينة إلى ماتقتضيه وتوجبه من آثار العبودية .

فمن توفرت له الطمأنينة لا ييئس على مافاته ولايفرح بماآتاه فهو مطمئن إلى قوله تعالى : (ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) .. كذا الاطمئنان إلى قوله سبحانه : (ماأصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) .

– أما طمأنينة الإحسان فهى الطمأنينة إلى أمره امتثالا وإخلاصاً ونصحاً ، فلا يقدم على أمره إرادة ولا هوى ولاتقليداً ولايساكن شبهة ولاشهوة ، وهذا هو صريح الإيمان كما قال الرسول ﷺ : وننبه هنا إلى أن الله سبحانه وتعالى جعل لكل عضو من أعضاء الإنسان كمالاً إن لم يحصل عليه فهو فى قلق واضطراب وانزعاج بسبب فقد كماله . . فكمال العين بالإبصار . . وكمال الأذن بالسمع . . وكمال اللسان بالنطق . . وكمال القلب معرفته سبحانه وإرادته ومحبته والإنابة إليه والإقبال عليه والشوق له والأنس به ، فإذا عدم القلب ذلك كان أشد عذاباً واضطراباً من العين التى فقدت النور واللسان الذى فقد قوة الكلام والذوق . . وأقوال المفسرين فى الطمأنينة ترجع إلى ذلك . فحقيقة الأمر أنه لاطمأنينة بدون التحقق بإياك نعبد وإياك نستعين . . قال ابن عباس رضى الله عنهما المطمئنة : المصدقة. وقال قتادة : هو المؤمن اطمأنت نفسه إلى ماوعد الله . . وقال الحسن : المصدقة بما قال الله تعالى . وقال مجاهد : هى النفس التى أيقنت بأن الله ربها المسلمة لأمره فيما هو فاعل بها . فإذا اطمأنت من الشك إلى اليقين ومن الجهل إلى العلم ومن الغفلة إلى الذكر . . ومن الخيانة إلى التوبه

ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الكذب إلى الصدق ومن العجز إلى الكيس ومن صولة العجب إلى ذلك الإخبات ومن التيه إلى التواضع ومن الفتور إلى العمل ، فقد باشرت روح الطمأنينة وأصل ذلك كله ومنشؤه من اليقظة فهى أول مفاتيح الخير والابتعاد عن الغفلة من الاستعداد للقاء ربه والتزود لمعاده .

(ب) النفس الأمارة

وأما النفس الأمارة فهى المذمومة فإنها التى تأمر بكل سوء وهذا من طبيعتها إلا ماوفقها الله وثبتها وأعانها فماتخلص أحد من شر نفسه إلا بتوفيق الله له (وماأبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى إن ربى غفور رحيم) . وقال تعالى : (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من أحد أبداً) . وقال تعالى للرسول ﷺ : (ولولا أن ثبّتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً) وكان النبي ﷺ يعلمهم خطبة الحاجة فيقول : «الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادى له » .

(حـ) النفس اللوامة

قالت طائفة : هى التى لاتثبت على حال واحدة . . أخذوا اللفظة من التلوّم وهو التردد . . فهى كثيرة التقلب والتلون فتذكر وتغفل وتقبل وتعرض . . وتلطف وتكثف وتنيب وتجفو . . وتحب وتبغض . . وتفرح وتحزن . . وترضى وتغضب . . وتطيع وتعصى وتتقى وتفجر . . إلى أضعاف أضعاف ذلك من حالاتها . .

قالت طائفة : اللفظة مأخوذة من اللوم ثم اختلفوا فقالت فرقة هى نفس المؤمن وهذا من صفاتها المجردة .

قال الحسن البصرى : إن المؤمن لاتراه إلا يلوم نفسه دائماً . .

قال غيره : هى نفس المؤمن توقعه فى الذنب ثم تلومه عليه فهذا اللوم من الإيمان بخلاف الشقى فإنه لايلوم نفسه على ذنب . . بل يلومها وتلومه على فواته . .

قالت طائفة : بل اللوم للنوعين فإن كل أحد يلوم نفسه برًّا كان أو فاجراً . . فالسعيد يلومها على ارتكاب معصية الله وترك طاعته والشقى لايلومها إلا على فوات حظها أو هواها .

وقالت طائفة : هذا اللوم يوم القيامة فإن كل أحد يلوم نفسه إن كان مسيئا على إساءته وإن كان محسناً على تقصيره .

وهذه الأقوال كلها حق ولاتنافى بينها فإن النفس موصوفة بهذا كله وباعتباره سميت (لوامة) .

لكن اللوامة نوعان :

لوامة ملومة : وهى النفس الجاهلة الظالمة التى يلومها الله وملائكته .

لوامة غير ملومة : وهى التى لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره فى طاعة الله مع بذله جهده فهذه غير ملومة .

وقد امتحن الله الإنسان بهاتين النفسين (اللوامة والأمارة) كما أكرمه بالمطمئنة فهى نفس واحدة تكون أمارة ، ثم لوامة ، ثم مطمئنة ، وهى غاية كمالها وصلاحها . . والملك قرين المطمئنة والشيطان قرين الأمارة . . وقد انتصبت الأمارة فى مقابلة المطمئنة لهزيمتها إلا من رحم ربى .

أوصاف النفس وتقسيمها باعتبار المقامات

ذكرنا كيف تختلف النفس باختلاف أوصافها[١٢] :

١ – فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضته الشهوات ، سميت بالنفس المطمئنة وهى التى قال الله تعالى فيها :

(يأيتها النفس المطمئنة . ارجعى إلى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) .

٢ – النفس التى لم تسكن فيها قوة الغضب والشهوة ، وهذه لايتصور رجوعها إلى الله فإنها مبعدة عنه ، وهى من حزب الشيطان . وهى النفس الأمارة بالسوء . قال الله تعالى إخباراً عن امرأة العزيز :

(وماأبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء) .

٣ – النفس التى لم يتم سكونها ، ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها فهى تلوم صاحبها عند تقصيره فى طاعة ربه وعبادة مولاه . قال تعالى :

(لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة) .

ولكن البعض ذهب إلى تقسيمها باعتبار مقاماتها إلى سبعة أقسام :

١ – مقام ظلمات الأغيار : وتسمى النفس فيه النفس الأمارة .

٢ – مقام الأنوار : وتسمى النفس فيه النفس اللوامة .

---

(١٢) النفس أمراضها وعلاجها فى الشريعة الإسلامية الشيخ محمد الفقى مكتبة صبيح ١٣٩٠ هـ بتصرف

٣ – مقام الأسرار : وتسمى النفس فيه النفس الملهمة .

٤ – مقام الكمال : وتسمى النفس فيه النفس المطمئنة .

٥ – مقام الوصال : وتسمى النفس فيه النفس الراضية .

٦ – مقام تجليات الأفعال : وتسمى النفس فيه النفس المرضية .

٧ – مقام تجليات الصفات والأسماء : وتسمى النفس فيه النفس الكاملة .

* * *